التوظيف الرمزي لمقومات بناء العمل الخزفي المعاصر بين الشكل والمضمون

Symbolic Employment of Contemporary Ceramic Work structure between shape and content

م.د/ أميرة أحمد محمد عيسوي

مدرس الخزف بقسم التعبير المجسم – كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

Dr. Amira Ahmed Mohamed Essawy

Lecturer Instructor of Ceramics, Embodied Expression Department, Art Education College, Helwan University

Amira.ara3.1995@gmail.com

المستخلص:

اتجهت الاعمال الفنية منذ بدايات القرن العشرين إلى الابتعاد عن محاكاة الواقع المرئي والاهتمام بالقيم الجمالية والتشكيلية التي تعلى من قيمة مضمون العمل وتستثمر مظاهره الشكلية لتحقيق هذا الهدف. وفي ضوء ذلك ظهرت العديد من الأعمال الخزفية المعاصرة التي تحمل متغيرات شكلية ذات دلالات فكرية ورمزية واسعة اعتمد فيها الفنان على استغلال كافة مقومات بناء العمل الخزفي من خامات وتقنيات تشكيلية وتكوينات مبتكرة لتحقيق مضمون العمل.

وبناء عليه تتحدد مشكلة البحث في التساؤل التالي: ما مدي نجاح العلاقة بين الشكل والمضمون في العمل الخزفي في إطار توظيف مقومات بناءه التشكيلي توظيفاً رمزياً؟

ويفترض البحث: أن هناك علاقة إيجابية بين التوظيف الرمزي لمقومات بناء العمل الخزفي والتعبير عن مضمونه.

وقد اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة محورين:

المحور الأول: اتجه إلى دراسة مفهوم الرمز وتطور دلالته في الفن التشكيلي من خلال استعراض لاهم الآراء التي تناولت الرمز في شكله وفي محتواه، ثم أثر الرمزية كحركة فنية حديثة على فن الخزف.

المحور الثاني: اتجه إلى دراسة الدور الرمزي لمقومات بناء العمل الخزفي المعاصر من خلال تحديد مفهوم وأهمية وحدة العلاقة بين الشكل والمضمون في العمل الخزفي، والدور الذي تلعبه العناصر والمقومات داخل العمل، ثم تقديم رؤية تحليلية لأهم الأساليب الفنية التي استخدمها الخزاف المعاصر لتحقيق مضمون العمل من خلال توظيف مقومات بناءه التشكيلي، وقد تم تصنيف الأعمال الخزفية على النحو التالي:

1- أعمال اعتمدت على التوظيف الرمزي للخامة.

2- أعمال اعتمدت على التوظيف الرمزي لطرق التشكيل.

3- أعمال اعتمدت على التوظيف الرمزي للتكوين.

الكلمات المفتاحية:

الرمز – مقومات بناء العمل الخزفي – الشكل – المضمون.

Abstract:

Art work has sought with the advent of the 20th century to avoid visual reality and move closer to aesthetic and plastic values to up grade the worth of work content and invest figural

appearances to meet such objective in light of the above numerous ceramic works with symbolic and thinking significances appeared, adopted by ceramists to embody the creation content.
Accordingly, the research problem is summarized in the following question: To what extent has the relationship between the shape and content in the ceramic work, been successful, with the framework the plastic structure in symbolic employment?
Research hypotheses: the present study assumes the there is a positive relationship between the symbolic employment of ceramic work structure, and the expression of its content.
The researcher used the analytical descriptive methodology examine two dimensions:
First: It examines the concept of symbolism, development of its significance in plastic art through the review of opinions on symbolic figure and content, tracking symbolism as a modern movement that has impacted ceramics as an art.
Second: This examines the symbolic role in the contemporary ceramic work structure through defining the concept of symbolism, its role uniting shape and content in ceramics, role played by elements and under pinnings to perfect the ceramic work. An analytical view is presented to unveil the artistic techniques used by a ceramist to embody the art work content through the employment of plastic work structures.
Ceramic works are classified in the following order:
1. Works that have depended mainly on the symbolic employment of the material.
2. Works that have depended mainly on the symbolic employment of formation and plastic techniques.
3. Works that have depended mainly on the symbolic employment of structure.

Keywords:
Simple - Contemporary ceramic work structure – Shape - content

مقدمة البحث:

تعد فكرة العمل بالنسبة للفنان هي حجر الاساس الذي يبنى عليه عمله الفني، ولذا فإن أكثر ما يشغل عقل الفنان عندما يشرع في إنتاج عمل جديد هو البحث عن الكيفية المناسبة لتجسيد تلك الفكرة في ضوء توافر مجموعة كبيرة من الخامات والتقنيات والوسائل التشكيلية المختلفة.

ويرى هيجل Hegel: إن ذوبان الفكرة في العمل الفني يخلق المثالي منه، ولكن اذا تصادف وجود الفكرة بشكل مباشر كان ذلك دليلاً على ضعف العمل الفني أو عدم فنيته على الاطلاق (٦ – ٣٩).

ووفقاً لتلك النظرة الفلسفية للفن اتجهت معظم الأعمال الفنية منذ بدايات القرن العشرين الي الأبتعاد عن الرؤية الحسية للاشياء والإدراك المباشر للواقع في مقابل الأهتمام بالقيم الجمالية والتشكيلية الجديدة التي تعلي من قيمة المعنى والمضمون وتستثمر المظهر الشكلي لتحقيق هذا الهدف، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه أمام الفنان لترجمة مدركاته الحسية للغة فنية تتفاوت في درجة وضوحها وقدرتها على التواصل مع الآخرين بحسب أسلوب كل فنان وقدرته على الأختيار الأمثل لأدواته التشكيلية.

ومن هنا ظهرت العديد من الأساليب التي ارتبطت في الأساس بحركات ومذاهب فنية حديثة أعتنق منها الفنان ما يتناسب ورؤيته الخاصة، فتراوحت لغته التشكيلية ما بين الأساليب التعبيرية التي تقترب من الواقع المرئي بدرجات متفاوتة، وبين الأساليب التجريدية والرمزية التي تعتمد على التلخيص والإيجاز ورمزية العلاقات المحملة بالكثير من الايحاءات والمعاني.

ولم يكن فن الخزف بعيداً عن كل هذه التطورات بل طرأ عليه في العصر الحديث طفرة كبيرة غيرت من مفهومه التقليدي الذي ظل حبيساً لفترات طويلة داخل منظومة الإناء الوظيفي وأضافت لأشكاله بعداً تعبيراً جديداً، وكان الاتجاه الرمزي أحد اختيارات الخزاف الحديث الذي أعطى لأعماله تميزاً ملحوظاً من حيث جرأة التعبير والتحرر من قبضة القيود والقواعد القديمة، فظهرت العديد من الأعمال الخزفية التي تحمل متغيرات شكلية ذات دلالات فكرية ورمزية واسعة اعتمد فيها الفنان على أستغلال كافة مقومات بناء العمل الخزفي من خامات وتقنيات تشكيلية وتكوينات مبتكرة أتاحت له فرصة تبني موضوعات غير تقليدية عبر عنها الفنان بما يتناسب وروح العصر ووفقاً لمنظومة جمالية وتشكيلية تسعى الي تحقيق مضمون العمل.

مشكلة البحث:

تتنوع أساليب الخزاف المعاصر في التعبير عن مضامين أعماله، ويتجه بعضها الي التعبير عن معاني وإيحاءات رمزية ترتبط في الغالب بمشاعر الفنان وأحاسيسه الذاتية، لذا يبقى تعبيره عن مضمون العمل مرهوناً دائماً برؤيته الخاصة وقدرته على الأختيار الجيد لخاماته وأدواته الفنية والتشكيلية التي تمكنه من تحقيق هذا الهدف. وبناء عليه يناقش هذا البحث علاقة الشكل بالمضمون في العمل الخزفي وأساليب توظيف مقومات بناءه التشكيلي عل أساس من الادراك الواعي لدلالتها الرمزية، ويطرح التساؤل التالي:

ما مدى نجاح العلاقة بين الشكل والمضمون في العمل الخزفي في إطار توظيف مقومات بنائه التشكيلي توظيفاً رمزياً؟

فرض البحث:

يفترض البحث ان:

هناك علاقة بين التوظيف الرمزي لمقومات بناء العمل الخزفي المعاصر والتعبير عن مضمونه.

أهداف البحث:

1- تبيان أهمية تحقيق مضمون العمل الخزفي من خلال استثمار جميع مدركاته الشكلية.

2- الكشف عن أهمية الدور الرمزي لعناصر ومقومات بناء العمل الخزفي وعلاقتها بالمضمون.

3- الكشف عن أهم الأساليب الفنية التي أستخدمها الخزاف المعاصر لتحقيق مضمون العمل في إطاره الرمزي.

أهمية البحث:

1- تأكيد العلاقة بين الشكل والمضمون في العمل الخزفي.

2- القاء الضوء على أهمية الاتجاه الرمزي لتحقيق مضامين نوعية للاعمال الخزفية.

3- القاء الضوء على تنوع رؤية الخزاف المعاصر للمقومات البنائية للعمل الخزفي وأساليب صياغتها فنياً.

منهجية البحث:

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي لدراسة محورين:

المحور الاول: مفهوم الرمز وتطور دلالته في الفن التشكيلي.

المحور الثاني: الدور الرمزي لمقومات بناء العمل الخزفي.

المحور الاول: الرمز وتطور دلالته في الفن التشكيلي

(١) الرمز الفني في شكله وفي محتواه:

يعرف الرمز Symbol بأنه الأحجية أو اللغز ذو الدلالة التي يدلل بها الإنسان على شيء أو معنى معين أو مطلق، ويفسر الرمز عن طريق الدلالة سواء بحسب ما إصطلح عليه العرف او ما أقرته التقاليد (٤ – ١١٣) ويتفق العديد من العلماء على أن الرمز هو كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، لا بطريق المطابقة التامة وانما بالايحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها (١ – ٧) ويكتسب الرمز قيمته ومعناه ممن يستخدمونه لذا فإن من أهم أدوار الرموز هي أنها لغة للإتصال ووسيلة للتفاعل الاجتماعي.

ويفرق العلماء بين الرموز الفنية والرموز غير الفنية، فقد تستخدم الرموز في الحياة العامة أو في العلوم المختلفة مثل الحروف والاعداد والصور الدالة... وغيرها، أما في الفن فإن للرمز معنى خاص في ذاته نستمده من تأملنا لهذا الرمز في ضوء الانفعال المرتبط به وما قد يترجم أو ينم عن مغزى فكري معين يقصده الفنان، وقد أكد على ذلك رندل كلارك Randal Clark حين ذكر: أن الرمز في حد ذاته ليس مهماً بل المهم هو ما تجمع حوله من الافكار التي تعطي له مغزى ومعنى خاص، فالرموز بطبيعتها هي بؤرة التأملات الخيالية والعاطفية (٣ – ٢٥).

وتعتبر لغة الرموز هي أولى اللغات التي أستخدمها الانسان قديماً بغرض التواصل مع الآخرين، وقد ظهرت في البداية على هيئة إشارات صوتية أو حركية لها مدلولها لدى الجماعة الواحدة، ومع مرور الوقت أدت رغبة الانسان في نقل أفكاره إلي الآخرين إلي تغير شكل الرمز، حيث تحولت الرموز الي مجموعة من العلامات والرسوم والأشكال التي تصطلح الجماعة على معناها. وقد بلغت الرموز المصورة Pictograph حد النضوج في الكتابة الهيروغليفية التي تعد أقدم أنواع الكتابة التي عرفها الانسان، علاوة على كونها أروع مثال للرمزية في التعبير عن الاشياء المحسوسة وكذا الافكار المعنوية (٤ – ١١٣)، وقد ظلت لغة الشكل أو لغة الفنون التشكيلية بتكويناتها الرمزية وعناصرها الاساسية كالخط بأنواعه، واللون، والمساحة، والحجم.. هي البدائل عن أجرومية لغة المصطلح فترة طويلة من الزمن. والمقصود بأجرومية اللغة اي حروفية اللغة، وهي العناصر التي قام الانسان بتأليفها منذ عصر قدماء المصريين كاللغة الهيروغليفية، والاشورية، والكلدانية، والمسمارية، للاشارة الي الاشياء او الاشكال في الطبيعة (٥ - ١٣٤)

وكان لتطور الأداء الرمزي وإنتقاله من مرحلة الرموز الصوتية أو الحركية إلي مرحلة الرموز البصرية أثره الواضح، ليس فقط على شكل الرمز ولكن على دلالته ومحتواه، فلم يعد هدف الرمز تقليد شيء بعينه في الواقع المرئي، بل أصبح التعبير عنه هو أساس صياغته تشكيلياً، فإتجه اسلوب الفنان تدريجياً إلي المزيد من التجريد والتلخيص في الشكل حتى اكتفى أحياناً بتمثيل جزء من الشيء للدلالة على الكل. غير أن أهم تطور صاحب انتقال الرموز الي لغة الفن التشكيلي هي تلك الإيحاءات والمعاني المستترة خلف الشكل المرئي أو الصورة المرسومة، لذا فعندما إكتشفت رسوم الإنسان الأول على جدران الكهوف إتجه تفسير العلماء والفنانين لها الي أهداف سحرية ورمزية، فالحيوانات والوحوش التي تخترقها السهام لم يكن المقصود من رسمها تمثيلاً للواقع ولكن ترميزاً للمعنى وتحقيقاً للهدف وهو الأحساس بالسيطرة عليها وبالتالي الحماية من خطرها.

وفي العصر الحديث ظل إهتمام الفنانين بالرموز ودلالتها واضحاً ومستمراً حتى شمل تأثيرها أغلب الحركات والمذاهب الفنية، فهي إجمالاً ودون استثناء تعتبر ذات طابع رمزي بدرجات متفاوتة، إلا أن هناك تفاوتاً أخر بين ما يوحي به أو يهدف إليه الرمز قديماً، وما يتطلع إليه الفنان الحديث من خلال تعبيره الرمزي، فالفنان المعاصر يعيش في عصر وبيئة بلغت حظاً عظيماً من المستوى الثقافي والفكري، لذا خرج الرمز لديه من تلك الاهداف الضيقة للفنانين قديما واتجه الي اهداف وافاق اوسع من المعاني والافكار.

(٢) الحركة الرمزية وتأثيرها على فن الخزف:

ظهرت الحركة الرمزية Symbolism كنقيض للمدرسة الواقعية، بينما إرتبطت بفلسفات بعض المدارس الفنية الأخرى كالدادية والتعبيرية والسيريالية التي إنصرفت عن تصوير الواقع المرئي إلي تجسيد المشاعر والأحاسيس الداخلية للفنان.

وقد تميز المذهب الرمزي بواقعه الخفي، وبالحقيقة المبهمة التي تكمن خلف ما هو ظاهر، فمن خلال لغة الرموز في الفن التشكيلي نشأت العلاقة الخفية بين العالمين المعنوي والمادي ولكن عن طريق إنفعالات ذاتية للفنان بعيدة عن ضرورات المنطق الذي غايته إدراك الحقيقة التي تفهم للجميع (١٤ – ٥١).

وهنا تبدو أهمية الرمزية كحركة فنية كشفت عن جوانب جديدة من شخصية الفنان تتعلق بالسمات الذاتية وإمكانيات التعبير عن الأفكار والمعاني بتفعيل القدرة على التخيل التي هي قدرة إنسانية خالصة ينفرد بها الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى إلا أنها نسبية بين بني البشر.

ولا شك أن إعمال الخيال يكسب أساليب الفنان العمق والتنوع في صياغة الموضوعات، فكل عمل يجعلنا نرى فيه شيئاً بالعين مع شيء ندركه بالبصيرة، ولذا تستند (الرمزية) إلي المبدأ الذي يعتبر الفن، وفي المقام الأول، تعبيراً شخصياً عما يجول في خيال الفنان ووجدانه (٧ – ٩٠).

ومنذ ظهور الحركة الرمزية بدى تأثيرها واضحاً في شتى فروع ومجالات الفن التشكيلي ولاسيما فن الخزف الذي إنفرد بصياغات متميزة اضافت لأعماله بعداً تعبيرياً ورمزياً جديداً، فلم يعد جمال الشكل هو أقصى غايات الخزاف الحديث كما كان في السابق بل أصبح الشكل وسيلة للوصول إلي غايات أسمى تتعلق بمضمون العمل الفني، ومن هنا إتجهت أعماله إلي إيجاد المداخل والوسائل التي تتناسب مع هذا التوجه، فتخلى بإرادته عن القواعد الكلاسيكية والمعالجات التقليدية للأشكال الخزفية متجهاً إلى استثمار امكانيات الخامات والتقنيات الخزفية المختلفة بأساليب أدائية جديدة وتكوينات مستحدثة إعتمد فيها الفنان على رؤيته الخاصة وخبرته الفنية والتشكيلية وإجتهاده نحو التعبير عن جوهر المعنى في أعماله، فضلاً عن تجسيده لإنفعالاته الداخلية في شتى الموضوعات التي تفرضها مجريات الأحداث.

المحور الثاني: الدور الرمزي لمقومات بناء العمل الخزفي المعاصر

(١) وحدة العلاقة بين الشكل والمضمون في العمل الفني:

يعرف الشكل Form في قاموس المصطلحات على أنه الهيئة أو ترتيب الأجزاء أو الجانب المرئي من العمل، غير أن الشكل وحده لا يمكن أن يمثل عملاً فنياً فهناك ما يعرف بالمضمون أو المحتوى وهو جوهر العمل الفني ويتضمن كل ما يسعى الفنان للتعبير عنه من أفكار أو معاني أو مشاعر إنسانية أو قيم معينة سواء كانت جمالية أو اخلاقية أو مجتمعية يمكن تجسيدها في شكل من اشكال الفن، لذا يعد المضمون متقدما علي الشكل تقدما منطقيا وزمنيا ايضا فالمضمون في الأغلب هو من يولد الشكل وليس العكس.

ولاشك أن العلاقة بين الشكل والمضمون في العمل الفني هي علاقة وثيقة وحتمية بحيث يصعب فصلهما، وهي تبدو أكثر قوة وإيجابية كلما تحققت الوحدة والأرتباط المثمر بينهما، ذلك الأرتباط الذي يبدأ في الأساس من منطق الإحتياج المتبادل وينتهي إلي تحقيق الهدف. فالشكل بإعتباره الجزء المرئي من العمل الفني يحتاج إلي مضمون يعطي له قيمة ومعنى ويوجه عناصره إلي هدف معين، كذلك يحتاج المضمون إلي شكل يجسده في صورة مرئية ملموسة تضمن إدراكه ومن ثم تذوقه في إطار رؤية شاملة للعمل، وكلما نجح الفنان في تحقيق هذا النوع من التكامل والإرتباط بين الشكل والمضمون كلما تحققت وحدة العمل الفني ككل ومن ثم وحدة التجربة الجمالية بالنسبة للمتذوق.

ففي أي عمل فني يتشابك المضمون الجوهري تشابكاً عضوياً مع القيم التشكيلية التي تكون في مجموعها العمل الفني ككل، ولذا فإن الخطوات المؤدية إلي الخبرة الاستطيقية وإلي التذوق الجمالي تتطلب بالضرورة النظر إلي الشكل والمضمون في وقت واحد أو الإنتقال مرات عديدة بينهما حتى تتضح الوحدة التي تضمهما معاً (٩ – ٧٣).

(٢) علاقة الرمز بالشكل والمضمون في العمل الفني:

حينما تتجه بنية الأعمال الفنية إلي الرمزية، يصبح للرمز بالضرورة علاقة مباشرة بالشكل والمضمون في العمل الفني، حيث يقف الرمز دائماً بين نقطتين أساسيتين: الدال وهو (الشكل) والدلالة وهي (المعنى أو المضمون)، ويتحقق ذلك بطريقة خاصة لا تتجه إلي وصف الواقع ولكنها تؤكد على التعبير المجازي الذي يشير إلي الشيء دون وصفه، وهنا تتفاوت درجة وضوح المعنى والمضمون من عمل إلي آخر بحسب قدرة الفنان على التعبير وإختياره الأمثل لأدواته الفنية والتشكيلية التي من شأنها تحقيق هذا الهدف.

غير أن أهم ما يميز إستخدام الرموز في الأعمال الفنية هو إمكانية تجسيدها لحالة معينة في شكل أو هيئة تستثير فكر ووجدان المتلقي للكشف عن الدلالات الرمزية المستترة خلف هذا الشكل الظاهر، وهو ما يزيد من أهمية دور الرمز في العمل الفني حيث يطرح تساؤلات عديدة لدى المشاهد ويحفز وجود إنطباعات خاصة لديه فيخلق حالة من التأمل والبحث في متنوع العلاقات التي تربط أجزاء الشكل ببعضها في محاولة لإدراك وفهم المضمون، ومن هنا تتأكد خصوصية الأعمال الفنية ذات الطابع الرمزي ومدى ما تقدمه للمشاهد من إثارة معرفية وجمالية قد تجعلها أكثر قدرة على التواصل معه من أي عمل آخر.

فعندما تندمج الصور المعنوية مع الصور المرئية تتولد الصور الفنية ببلاغة، وتعثر الأفكار على تجسيد لها في صور ورموز تجمع بين مجالات حسية مختلفة، وحيث يجمع العمل الفني الرمزي بين صورتين في معنى واحد، لذا فهو يستحضر طاقات أكثر مما تقدمها المعرفة وحدها لأنه يتجاوز بذلك المستويات المعرفية والجمالية معاً (٨ – ٥، ١٢).

(٣) المقصود بعناصر ومقومات بناء العمل الخزفي:

للعمل الخزفي عناصره ومقوماته الأساسية التي تكون بنيته الإنشائية، وللتمييز بين تلك العناصر والمقومات يجب تحديد وظيفة كلاً منهما:

فالشكل بالنسبة للعمل الفني هو نظام من البناء والتركيب لمجموعة من العناصر كالخطوط والمساحات والألوان والكتل والملامس... له محاوره وأبعاده ومكوناته كبنية خارجية وداخلية وتعتبر الأشكال جميعاً سواء كانت ذات بعدين أو ثلاثة أبعاد هي نتيجة مباشرة للتفاعل القائم بين عناصرها لتكوين الهيكل العام للعمل الفني، ورغم إختلاف الآراء حول تقدير عدد هذه العناصر إلا أنها أساسية ومتفق على وجودها في أي عمل فني.

وعلى هذا الأساس تعتبر عناصر العمل الخزفي وما يحدث لها من إندماج وتفاعل للحصول على الشكل هي مرحلة لازمة لتصميم بنائه الفني، إلا أنها تتم وفقاً لمنظومة أشمل للعمل تتمثل في المقومات الأساسية اللازمة لبنائه التشكيلي وهي: الخامة، التشكيل، التكوين. وبحسب ترتيبها السابق تتوالى الادوار التي تلعبها داخل العمل الخزفي على نحو يجعل لكل منها أهميته ودوره الفاعل في تحقيق وحدة العمل.

فعندما يبدأ الفنان في ضوء فكرة أو مضمون معين في إنتاج أي عمل خزفي فهو يحتاج أولاً لوجود خامة أساسية هي خامة الطين التي قد يضاف إليها بعض الخامات الأخرى المكملة بحسب إحتياج العمل، وبناء على نوعية الخامات المستخدمة

يحدد الفنان طرق التشكيل والوسائل المناسبة للتنفيذ، والتي ينتج عنها صياغات وتكوينات شكلية معينة تعكس منهج الفنان في تنظيم عناصر الشكل بما يتوافق مع مضمون العمل وفكرته الكلية.

وبناء عليه تعتبر مقومات بناء العمل الخزفي هي مجموعة متكاملة ومتتابعة من المراحل أو الخطوات الفنية الرئيسية التي تؤثر على منظومة العمل ككل، وفي ضوء الوعي بإمكانية توظيف واستغلال هذه المقومات يتحدد مدى نجاح الفنان في تحقيق العلاقة الترابطية بين فكرة العمل وشكله الخارجي، أي بين الشكل والمضمون في العمل الخزفي.

(٤) التوظيف الرمزي لمقومات بناء العمل الخزفي:

يقوم العمل الخزفي على توافر ثلاثة جوانب رئيسية لا غنى عنها تعد هي المقومات الأساسية لبنائه التشكيلي، وتتمثل في: الخامة، التشكيل، التكوين.

وفي حين كان الإهتمام الأكبر في الماضي بتقنيات التشكيل على حساب التعبير، تغيرت نظرة الخزاف في العصر الحديث وبدأ يبحث عن إستغلال أفضل لجميع الإمكانيات والجوانب الفنية المتاحة لديه لخدمة مضمون العمل، وقد إتجه العديد من الفنانين إلي تحقيق ذلك عن طريق توظيف مقومات بناء أعمالهم الخزفية توظيفاً رمزياً، ووفقاً لرؤية وأسلوب كل فنان إكتسبت هذه المقومات أهميتها وتأثيرها داخل العمل الخزفي لتعكس أحاسيس ذاتية للفنان تصدر عن إنفعاله الداخلي بالموضوع. وفي ضوء ذلك يمكن تصنيف الأعمال الخزفية على النحو التالي:

(أ) أعمال أعتمدت على التوظيف الرمزي للخامة:

تعتبر الخامة هي الوسيط المادي الذي عن طريقه وبإمكانياته يبدع الفنان، وكلما زادت حساسية الفنان لذلك الوسيط بخصائصه المادية وإمكانياته التقنية كلما إستطاع من خلاله التعبير عن مجمل أفكاره ومشاعره وصدق انفعاله بالموضوع.

وفي إطار ذلك لعبت خامة الطين دوراً أساسياً في تحديث العمل الخزفي بوجه عام، كما ساعدت على تطور الأداء التشكيلي للخزاف في ضوء سعيه إلي إنتاج أعمال جديدة ترتكز على إحترام الخصائص الطبيعية للخامة وإمكانية توظيفها لخدمة مضمون العمل.

وقد إعتمد الخزاف الحديث على تجاربه الخاصة لتحقيق هذا الهدف حيث إتجه إلي تحسين خواص بعض أنواع الطينات، أوالتحكم في تركيباتها لإنتاج خلطات جديدة ذات مواصفات معينة، أو تعديل بعض خواصها مستخدماً المركبات الكيميائية أو العضوية للحصول على تأثيرات متنوعة تمكنه من تحقيق رؤية تشكيلية تتناسب مع ما يقدمه من موضوعات، وقد ساعده على ذلك طبيعة خامة الطين لما لها من كيفيات حسية وكيميائية قد لا توجد في اي خامة أخرى، فضبط بعض الظواهر الشكلية لخامة الطين كظاهرة التشقق مثلاً يحتاج إلي التحكم في خصائصها الطبيعية من حيث درجة خشونة الطين ودرجة مرونته، كذلك التحكم في درجات التمدد والإنكماش، ودرجات الحرارة المناسبة لعمليات الحريق على نحو يؤدي إلي مظاهر مختلفة من التشققات ذات الدلالات المتنوعة، وقد إستطاع الفنان بخبرته تقنين وتوظيف تلك التأثيرات في الكثير من أعماله ذات الطابع الرمزي ليصبح هذا التأثير في كثير من الأحيان هو بطل العمل الذي يعبر عن مضمونه.

ويظهر ذلك في العديد من الأعمال الخزفية المعاصرة، منها شكل (١) وهو عمل للفنان كلودي كازانوفاز Claudi Casanovas مصنوع من مزيج من الخلطات الطينية الزلطية، وتبدو من خلاله قدرة خامة الطين على إحتواء الفراغ الداخلي للشكل وتغلغلها داخله على أثر التشققات الحادة التي حدثت له مما أعطى للعمل هيئته المركبة، ويعد هذا العمل نموذجاً جيدا لاسلوب توظيف الخصائص المادية لخامة الطين لتحقيق أهداف رمزية، فطبيعة خامة الطين المعتمة أعطت احساساً عميقاً بالغموض لكونها تحتوي بناءً داخلياً لا يفصح عن نفسه، كما أن قسوة تشققات الطينات الزلطية وانكسارها

في مواضع مختلفة وحركات متنوعة، مع تنوع درجاتها اللونية، أظهرت قدرة كبيرة للتعبير عن معاني التخلخل والتفكك والانهيار الذي قد يحدث نتيجة للضغوط الشديدة.

شكل (١) كلودي كازانوفاز – خزف زلطي –الأرتفاع ١٣سم ١٩٩٦ – (١٢-٦٨)

وقد إتجه عدد من الفنانين المصريين للإهتمام بالتجريب في خامات الخزف وإمكانياتها الطبيعية لتحقيق رؤية تشكيلية متميزة أظهرت جوانب رمزية لبعض الأعمال من خلال ما قد تثيره نوعية الخامات وتأثيراتها من دلالات، ففي شكل (٢) قدم الفنان يوسف مكرم رؤية تحليلية لمفهوم الحياة بمعناها الواسع والتي تنحصر بين نقطتين، البداية والنهاية، وقد ترجم الفنان هذا المعنى مستخدماً تأثيرات خامة طين كرموز دالة، ففي تشقق الكتل الطينية من أعلى وخروج الأجزاء النابعة منها دلالة على عملية الخلق والميلاد، وفي توالي طبقاتها الدائرية إشارة إلي الفترات الزمنية المتتالية، أما ألوان العمل فقد أكدت نفس المضمون حيث ظهرت درجات اللون البني والأخضر الفاتح مع الأبيض المطفي في بداية العمل إشارة إلي المكان لإرتباطها بلون الأرض، بينما أُستخدم اللون الأسود على نهايات العمل من أسفل ارتباطاً بفكرة الموت ودلالة على إنتهاء الحياة.

شكل (٢) يوسف مكرم – مصر – معرض خاص – ١٩٩٠

وإلي جانب هذه النوعية من الأعمال ظهرت بعض الأشكال الخزفية التي إعتمدت على إستغلال الخصائص المميزة لخامة الطين لتحقيق مضمون العمل كخاصية (اللدونة) التي أستطاع الخزاف المعاصر توظيفها في كثير من أعماله لتجسيد بعض المعاني من خلال طبيعة تأثيرها على المشاهد، فقد يوحي مظهر النعومة الزائدة لخامة الطين والانسيابية في الحركة أو الانتظام والتدرج البطئ في توالي طبقاتها إلي الإحساس بالراحة والهدوء النسبي الذي قد يمنحه مشهد طبيعي لحركة الامواج المتلاحقة، وهو ما يوحي بمعاني عديدة كالعطاء والتوالد والاستمرارية والتجديد، بينما قد يوحي تدرجها السريع أو تدفقها واندفاعها بشكل عشوائي بمعاني مختلفة تماماً تقترب من الانفعالات القوية أو العنيفة كالتدافع والصراع والفوران الناتج عن ضغط معين ويظهر ذلك في عمل للفنان فاسوس ديميتريو شكل (٣).

شكل (٣) فاسوس ديميتريو – إيطاليا – بينالي القاهرة الدولي السادس للخزف – ٢٠٠٢

ويعد تنوع خامات الخزف الطبيعية وإمكانياتها اللامحدودة نقطة انطلاق حقيقية للتجريب الحر في الخامات، ولذا ساعد استخدام أسلوب توليف الخامات في الخزف إلي إثراء الفكر الرمزي عند الخزاف المعاصر حيث أدى إلي تعميق إحساسه بخامة الطين ومكوناتها بهدف اختيار ما يتناسب معها من خامات يمكن المزج بينهما على أساس من التآلف والتعايش في إطار المضمون الكلي للعمل، وقد نجح الفنان في توظيف تلك الخامات رمزياً في ضوء خصوصية كل خامة وما قد تضيفه من تأثير نفسي على المشاهد، فخامة الزجاج مثلاً تتعايش تماماً مع خامة الطين لوجود صفات مشتركة بينها وبالتالي يمكن للفنان استيعاب خصائصها والاستفادة منها بشكل واسع للحصول على تأثيرات مختلفة، مثل خاصية اللمعان والشفافية والقابلية للتشقق والتكسير أو الانزلاق والانتشار والتبلور على أثر الانصهار الذي يحدث للزجاج أثناء عملية الحريق وأندفاعه على سطح الشكل الخزفي في مواضع مختلفة أو تجمعه وانحساره في مواضع أخرى، وهو ما قد يوحي للمشاهد بمعاني عديدة يصعب على الفنان التعبير عنها بدون تلك الخامة ويبدو ذلك في عمل للفنان بينجول باساريز شكل (٤).

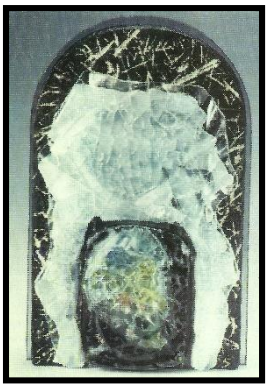

شكل (٤) بينجول باساريز – تركيا – بينالي القاهرة الثالث الدولي للخزف – ١٩٩٦

في حين يختلف المعنى تماماً عندما يستخدم الفنان خامات صلبة مع خامة الطين كالحديد والنحاس وغيرهم من المعادن حيث التآلف بين المتضادات يصبح أصعب بكثير لذا تكون الرسائل أكثر قوة، وهناك العديد من الأعمال التي اعتمدت على توظيف هذا التباين في السمات والخصائص لتأكيد بعض المعاني بأسلوب رمزي ومنها عمل للفنانة نجية عبد الرازق شكل (٥).

شكل (٥) نجية عبد الرازق – مصر – الأبعاد ٣٠ × ٢١سم معرض خاص – ١٩٩٥

(ب) أعمال أعتمدت على التوظيف الرمزي لطرق التشكيل:

أدى اتجاه الخزاف الحديث إلي التجريب في الطينات بهدف تحقيق قدر أكبر من التعبير والرمزية في أعماله إلي البحث عن أساليب تطويعها كأداة تشكيل غنية بالإمكانيات المتعددة، مما ساهم في إستحداث تقنيات جديدة استطاع الفنان من خلالها تجسيد الكثير من الأفكار والمضامين في صياغات مبتكرة من الأشكال الخزفية، وقد ساعده على ذلك ما أتاحته له تكنولوجيا الخامات والأدوات من إمكانيات ووسائل مختلفة. ويؤكد ذلك جوزيف البرز Josef Albers وهو رائد من رواد الباوهاوس، حيث يرى: أن التجريب الحر بالخامات في العمل الفني ينمي الشجاعة التي تؤدي إلي خبرات ومعلومات تكتشف لأول مرة، كما تكتشف معه معاني وصيغ جديدة للأعمال (١٠–٥٥).

وتتعدد طرق التشكيل في الطينات الخزفية وتتنوع ما بين التشكيل اليدوي المباشر كطريقة التشكيل بالحبال أو الشرائح أو الضغط... او غيرها، وما بين استخدام أدوات خاصة للتشكيل مثل دولاب الخزاف أو استخدام القالب، وقد اظهرت الكثير من الأعمال الخزفية الحديثة نجاح الفنان في استغلال كافة هذه التقنيات والوسائل بأساليب جديدة دمج فيها بين جانبي المهارة والتعبير غير أن أكثر ما يميز فنان عن آخر هو مدى قدرته على اختيار أدواته وتقنياته بما يتناسب وفكرة عمله.

ولاشك أن خبرة الفنان المبدع تجعله قادراً على إدراك العلاقة التي تربط الوسائل التي يستخدمها بالغايات التي يريد الوصول إليها، وقد أتيح للخزاف المعاصر مطلق الحرية فيما يستخدمه من تقنيات ومهارات لتذليل العديد من المشكلات التي كانت تقف حجر عثرة أمام تعبيره، كما استطاع توظيفها لتصبح وفقاً لرؤيته من أهم أدواته الفنية للتعبير عن الكثير من المعاني والإيحاءات الرمزية.

وتتميز معظم الأعمال الخزفية المعاصرة التي اعتمدت على توظيف طرق التشكيل المختلفة لتحقيق مضامين رمزية بالبساطة والتلخيص في تناول الفكرة وفي أسلوب تنفيذها، كما أظهرت وعي الفنان بأبعاد الخامة بعد تشكيلها وعلاقتها بمضمون العمل، فالصفة الغالبة للحبال كشكل أحادي الأبعاد والصفة الغالبة للشرائح كشكل ثنائي الأبعاد تختلف عن الطبيعة البنائية لخامة الطين عندما تكون ثلاثية الأبعاد وإدراك الفنان لهذا يعد جزءاً هاماً من عوامل نجاح الشكل الخزفي وهناك العديد من الأمثلة التي توضح هذا المعني.

ففي عمل للفنانة فتحية معتوق شكل (٦) نجده يجسد المدلول الرمزي لمعنى الحرية من خلال حركة شريحة طينية صيغت في تكوين يبدو للمشاهد وكأنها تتمايل بفعل ما حولها من هواء، وقد تأكد هذا المعنى من خلال إنسيابية ونعومة أسطح الشريحة وتناغم ودوران الخطوط الخارجية والداخلية لها في حركات شبه دائرية، وقد ساعدت خصائص ليونة الطينة ومرونتها على تأكيد سهولة وحرية الحركة، بينما ساعد اللون الأبيض للعمل على الإيحاء بخفة وشفافية الشريحة.

شكل (٦) فتحية معتوق – مصر – بينالي القاهرة الدولي السادس للخزف ٢٠٠٢

وفي عمل آخر للفنان فريدريك زيت Friederike Zeit شكل (٧) استخدمت طريقة التشكيل بالشرائح الطينية ولكن بصياغة مختلفة وتوظيف محكم للعناصر لتحقيق رمزية الفكرة التي تظهر قدرة الفنان على تثبيت الزمن والتقاط المشهد في لحظة معينة تبدو فيها شريحتين منفصلتين في حركة دائرية مستمرة توحي بها حركة الأسطح غير المستوية والخطوط المتعرجة التي تتلاقى وتتلامس في مواضع مختلفة فتنقل إلي المشاهد شعوراً بالنشاط والحيوية والطاقة المتجددة، ويؤكد هذا المعنى استخدام اللون الأحمر كلون موحد للعمل حيث يرتبط مدلوله الرمزي بالحرارة والطاقة وما قد يصاحبهما من معاني.

شكل (٧) فريدريك زيت – ألمانيا – الابعاد ٢٩ × ٢٥ × ٤٥سم ٢٠١١ - (١٦)

أما في العمل شكل (٨) للفنانة دومينيكا اليالورو Domenica Aglialoro فقد تم توظيف تقنية التشكيل بالحبال الطينية في صياغة متميزة ابتعدت فيها الفنانة عن الأسلوب المعتاد من الانتظام والنمطية في المعالجة لتحقيق مضمون نوعي يرتبط بأهداف رمزية، ويتألف العمل من مجموعة كبيرة من الحبال الطينية ذات الأطوال المختلفة والنهايات المدببة، تبدأ جميعاً من أعلى في تكثيف شديد وتنتهي إلي أسفل لتنطلق في اتجاهات مختلفة، وتتجسد فكرة العمل فيما تثيره تلك العلاقات المتشابكة للخطوط من إيحاءات رمزية للمشاهد تتعلق بكل ما هو متشابك في الحياة او داخل النفس البشرية، وقد ساهم تكوين العمل على تعميق هذا الإحساس من خلال تنوع حركة الخطوط الإشعاعية التي أدت إلي اختراق كامل للشكل وتجريده من حدوده المادية.

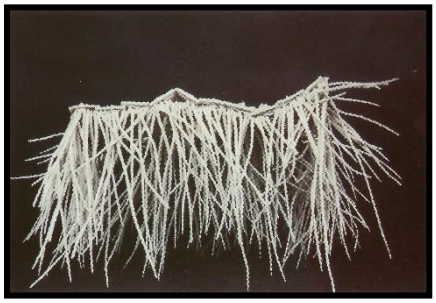

شكل (٨) دومينيكا إليالورو – فنزويلا – بينالي القاهرة الدولي السادس للخزف – ٢٠٠٢

(ج) أعمال أعتمدت على التوظيف الرمزي للتكوين:

يتكون العمل الفني التشكيلي من مجموعة من العناصر التي لا تخرج عن كونها خطاً أو مساحة أو كتلة أو لون... أو أكثر، ومن خلال ترتيب هذه العناصر بشكل معين يتشكل لدي المشاهد صورة ذهنية تثير في النفس أحاسيس ومعاني معينة، وباختلاف تربيب تلك العناصر تختلف الصور والمعاني التي تعبر عنها الاعمال الفنية.

ويعني ذلك أن التكوين هو الحوار الذي تشترك فه جميع عناصر الشكل وفقاً لتنظيم أو ترتيب معين يتحقق معه مضمون العمل أو جملته المفيدة، أما دور الفنان هنا فهو القائد أو المايسترو الذي ينظم هذه العناصر وفقاً لنهج يراه معبراً عن مشاعره وأحاسيسه الذاتية.

وجدير بالذكر أن لغة الفن التشكيلي قد ارتبطت برمزية التكوينات التي تعارف عليها البشر منذ زمن بعيد وإن أختلفت التفسيرات أحياناً بناء على عوامل زمنية أو مكانية أو ثقافية الا ان بعض التكوينات استقرت علي مدلول رمزي اصبح يثير عدد من المعاني لدي الغالبية وعلي سبيل المثال نجد أن التكوين الهرمي يرمز دائما إلي الخلود والاستقرار والصلابة، والتكوين الدائري أو الكروي يثير في النفس الإحساس باللابداية واللانهاية، أما التكوين الحلزوني فيرتبط غالباً بالدوار والحصار، والمنحني بالحركة والنشاط والإيقاع، بينما يثير التكوين الغير منتظم أحاسيس من الارتباك وعدم الاستقرار.

وفي ضوء بعض الآراء التحليلية لنظم التكوين ودلالتها الرمزية، إلي جانب الوعي بالقيمة العملية لنظرية الجشتالت Gestalt بالنسبة للفن التشكيلي والتي كشفت جوهر العلاقة التي تربط أجزاء العمل الفني أو عناصره المرئية بالصفة الكلية التي تميزه، أستطاع الخزاف المعاصر أن يقدم رؤية جديدة للعمل الخزفي أكد فيها على أهمية الدور الرمزي للتكوين في تحقيق مضمون العمل من خلال إمكانية توظيف عناصر الشكل ودلالتها في إطار البنية الكلية للأعمال الخزفية. وأكثر ما يلاحظ في هذه الأعمال تنوع تكوينها البنائي نتيجة لتعدد أساليب عرض المضمون، ويرجع ذلك إلى عاملين:

١- رؤية الفنان لعناصر التكوين الخزفي:

وتعني أسلوب توزيع الفنان للأدوار التي تلعبها العناصر داخل التكوين الخزفي بناء على رؤيته لقوة تأثير كل عنصر من عناصر الشكل في التعبير عن مضمون العمل، فقد يعتمد التكوين على أساس التساوي في الأدوار والتكامل في التأثير لجميع العناصر بدرجة واحدة للوصول إلي المضمون، بينما يعتمد عمل آخر على سيطرة عنصر أو أكثر على التكوين ككل نظراً لقوة تأثيره في وضوح الفكرة، مثال على ذلك شكل (٩)، (١٠).

ففي شكل (٩) للفنانة نورا ميدينا شافيز Nora Midena Shavies تتضح فكرة العمل الذي يتخذ هيئة كروية في تحليل القوة الكامنة داخله إلي مجموعة من التأثيرات الشكلية الرمزية للعناصر التي تتضامن جميعاً لتجسيد مضمون العمل في إطار التكوين الكلي له، فالشكل الكروي يرمز للحدود اللانهائية للمكان (الأرض)، والتشققات الغائرة في البدن والأخرى المنتشرة على السطح توحي بالقوة الداخلية له وتأثيراتها المدمرة، بينما تشير سخونة نهايات العمل حيث تأثير اللون الأحمر والخطوط الحلزونية إلي تصاعد الأحداث إلي أعلى نقطة ممكنة، ويعد العمل في مجمله إشارة تحذيرية مما يتعرض له عالمنا من حروب وصراعات وإهدار لطاقاته واختراق لحدوده الآمنة التي قد تؤدي يوما ما إلي فناءه.

شكل (٩) نورا ميدينا شافيز – المكسيك – بينالي القاهرة الدولي الخامس للخزف - ٢٠٠٠

أما في العمل شكل (١٠) فيتجه الفنان ريشارد ديكان Richard Deacan إلي استخدام الخط المنحني الذي يمثله شريط من شريحة طينية تتلاقى في حركات ديناميكية غير منتظمة لتخلق فراغاً داخلياً يوحي بحالة من النشاط والمراوغة والحصار

الذي قد يثير العديد من التساؤلات لدى المشاهد، وقد أعتمد الفنان في تجسيد المعني على القوة الحركية الكامنة في عنصر الخط وقدرته على تحديد الفراغ الذي يمثل الكتلة اللامادية للعمل.

شكل (١٠) ريتشار ديكان - انجلترا– عرض ١١٨سم ٢٠٠٤ - (١٣ – ١٢٩)

٢- تأثير اتجاهات الفن الحديث على سمات التكوين الخزفي:

منذ بدايات القرن العشرين اتجهت التكوينات الخزفية إلي صياغات جديدة لعناصرها كانت انعكاساً مباشراً لتأثير اتجاهات الفن الحديث على رؤية الخزاف، فظهرت الأعمال التركيبية، والتجميعية، والتجهيز في الفراغ.. وغيرها من الأعمال التي أعتمد الكثير منها على توظيف رمزي لعناصرها لخدمة مضمون العمل، وفيما يلي نستعرض بعض النماذج من الأعمال التركيبية والتجميعية لتوضيح أساليب الفنان في عرض المضمون:

أ- الأعمال التركيبية Constructivism:

تشتمل الحركة التركيبية في مضمونها على الاتجاه التكعيبي الذي سعى إلي البحث عن حقيقة جديدة للطبيعة من خلال دراسة قوانينها، لذا يرى أصحاب النزعة التركيبية أن للفن وظيفة تبتعد عن المحاكاة والتقليد وتسعى إلي الاهتمام بجانب التركيب والبنائية لعناصر العمل الفني في أشكال جديدة متميزة (٩–١٣٠).

وتعكس الكثير من الأعمال الخزفية التركيبية المعاصرة تعدد وتنوع الرؤى والأفكار والأساليب التي اتبعها الفنان لصياغة أعماله في تكوينات مبتكرة، حيث اعتمد بعضها على:

1- استخدام العناصر الهندسية بكامل هيئتها في صياغة العمل بينما تلعب الأسطح دوراً هاماً في التكوين من خلال تنوع مستوياتها واستخدام الظلال والألوان والملامس للإحساس بالحركة وحيوية العمل، ويظهر ذلك في عمل للفنان واين هيجبي Wayn Higby شكل (١١) بعنوان "شتاء قلعة يابسة" ويشير هذا العنوان إلي اتجاه مضمون العمل لتجسيد حالة نفسية معينة توحي بشعور من الوحدة والاغتراب الذي يرتبط بإحساس البرودة والتجمد، وقد استطاع الفنان نقله للمشاهد من خلال علاقة الأشكال بالفراغ المحيط الذي يوحي بالانعزال، ثم تنوع مستوياتها وألوانها التي غلب عليها اللون الأبيض إشارة إلي لون الثلوج، ودرجات اللون البني والأخضر إشارة إلي ما تحتها من طبقات الأرض النابضة بالحياة وقد أكد هذا المعنى الحركة الإيهامية للون كبديل للحركة الفعلية.

شكل (١١) واين هيجبي –أمريكا – العنوان "شتاء قلعة يابسة" الأبعاد ٣٧,٨×٨٤,٤×٢٢,٩سم - ١٩٩٥ (١٥-٢٨٨)

1- تجزئ العناصر الهندسية إلي وحدات ثم إعادة تجميعها وتركيبها في نظام جديد يحفظ للعمل وحدته واتزانه، وقد تعتمد هذه التكوينات على الجمع بين عدة عناصر تختلف في صفاتها الهندسية، أو الجمع بينها وبين عناصر أخرى ذات صفات عضوية مسطحة كانت أو مجسمة، وقد أتاح هذا الأسلوب حرية أكبر للفنان لتجسيد الكثير من المعاني التي تنتج عن إدراك العلاقات بين أجزاء العمل وبعضها، ثم بينها وبين التكوين الكلي له، ويبدو ذلك في عمل مركب للفنان سيمون كارول Simon Carrol شكل (١٢) وهو يتكون من ثلاثة أجزاء، الجزء الأكبر منه وهو الاوسط عبارة عن متوازي مستطيلات، يسبقه جزء علوي تمثله شريحة غير منتظمة الأطراف تتخذ هيئة نصف كروية، بينما الجزء الأخير من العمل ينقسم إلي جزئين كلا منهما على هيئة مخروط مقلوب منحني الجانبين وقد يرمز الفنان في هذا العمل الي حالة الانسان المعاصر التي تتأرجح مابين الوضوح والغموض في وصفها، ففي حين عبر عن مظاهر هيئة الانسان من خلال وصف اجزاء الجسم من رأس وجزع وساقين والتي تمثل الاجزاء الثلاثة المكونة للعمل تشير معالجات السطح حيث ملامس الخطوط المتعرجة المتشابكة التي تغطي الشكل بالكامل والمعالجات اللونية الحرة المتباينة بين الابيض والاسود الي رمزية الحالة النفسية داخل الانسان والتي يغلب عليها التشابك والتباين والغموض.

شكل (١٢) سيمون كارول – انجلترا الارتفاع ٨٤سم ٢٠٠٧ (١٣ – ١٢٠)

وحيث جذبت الأعمال التركيبية اهتمام العديد من الفنانين المصريين أمثال الفنان محي الدين حسين وصالح رضا وفتحية طريف وميرفت السويفي.. وغيرهم، ظهرت مجموعة من الأعمال التركيبية المتميزة أضافت للساحة الفنية المصرية مزيداً من التنوع والتجديد في الرؤية الخزفية الحديثة ومزيداً من الانفتاح على منابع الفكر العالمي المعاصر، ويجسد العمل المركب شكل (١٣) وهو للفنانة ميرفت السويفي رؤيتها التعبيرية للطفولة كمعنى من خلال رمزية العلاقة التي تجمع بين كتلتين (الرأس والجسد) حيث تختلف نسبتهما لدى الطفل عن الشخص البالغ، وبالتالي تم توظيف اختلاف الحجم والنسب رمزياً لخدمة مضمون العمل، وقد استخدمت الفنانة الأسلوب الرمزي في أكثر من عمل تركيبي آخر للإشارة إلي مرحلة الطفولة بكل ما فيها من براءة وتلقائية وخيال.

شكل (١٣) ميرفت السويفي – مصر الارتفاع ٩٠سم متحف الفن المصري الحديث

ب- الأعمال التجميعية Assemblage:

الاتجاه التجميعي هو مصطلح ظهر في الخمسينيات يصف الأعمال الفنية المركبة المصنوعة من خامات طبيعية مع أخرى سابقة الصنع، وقد خرج هذا الاتجاه من فكر الكولاج الذي أستخدمه التكعيبيون.

وكانت الأعمال التجميعية الخزفية قد بدأت بعمليات من التركيب والتأليف بين خامة الطين وبعض الخامات التي تتحمل درجات حرارة عالية كالحديد والنحاس، ثم تطور أسلوب العمل فأصبح التجميع بين خامة الطين بعد الحريق وخامات أخرى لا تتعامل حرارياً عن طريق المواد اللاصقة، أو عن طريق علاقة التجاور بين العناصر وطرق تجميعها بأساليب مختلفة.

ففي عمل تجميعي للفنانة سيلفيا زاني Silvia Zagni شكل (١٤) عبرت الفنانة عن رداء المرأة بمجموعة شبه متماثلة من الشرائح الطينية ذات تأثيرات ملمسية خطية متعرجة تم تجميعها بأسلوب حياكة الأقمشة باستخدام الغرز الدقيقة للأسلاك المعدنية، بينما تم تثبيت الهيكل العام للعمل عن طريق مجموعة من أسياخ الحديد، ومن خلال النظرة الأولى للعمل قد يبدو موضوعه تقليدي للمشاهد، إلا أن رمزية المضمون تكمن في استخدام عناصره بأسلوب تحليلي يتخلله رؤية الفنانة للحقيقة المستترة خلف الشكل المرئي، فالتحريف والمبالغة في التكوين هو تعبير عن رؤية خاصة لعالمها الذاتي، والاتجاهات المتعارضة بين الخطوط الرأسية والمائلة الناتجة عن حركة الأسياخ الحديدة وتأثير الملامس الخطية للشرائح، مع الخطوط العرضية لاتجاه تجميعها بالأسلاك المعدنية، هي تعبير رمزي عن شعور داخلي بالصراع الذي يؤكده اتجاه وضع الحذاء أسفل العمل حيث يشير إلي خطواتها الجانحة في أكثر من اتجاه.

شكل (١٤)
سيلفيا زاني – إيطاليا بينالي القاهرة الدولي السادس للخزف – ٢٠٠٢

وجدير بالذكر أن العديد من الأعمال التجميعية المعاصرة اتجهت إلي رمزية المضمون اعتماداً على تأثير الأبعاد النفسية للخامات المستخدمة في التكوين ونوعية وصفات الأشكال الجاهزة وأسلوب تجميعها في علاقات توحي بمعاني مختلفة كما في شكل (١٥). ويشير جان برتليمي Jan Bretlimy إلي تأثير الجانب النفسي ودوره في العمل الفني فيذكر: أن العمل الفني يمثل لدى المبدع ولدى المتأمل تنفيساً عن طاقة المشاعر العليلة التي تراكمت لأقصى الحدود نتيجة لكبتها ولأستحالة التخلص منها في وقت ما (١١ – ١٥١).

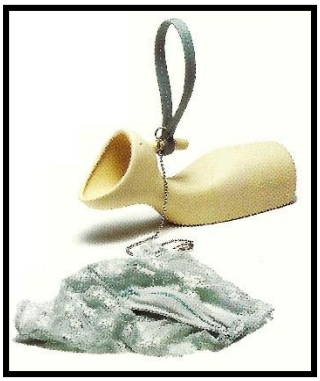

شكل (١٥)
شريستن جونسون – عمل تجميعي الأبعاد ١٠ × ١٢ ×٣٠سم – ٢٠٠٧ (١٣ – ١٣٣)

وقد ظهرت نوعية أخرى من الأعمال التجميعية التي استخدم فيها الفنان عناصر من الأشكال الخزفية بكامل هيئتها ثم تم تجميعها في علاقات جديدة تقوم على التلاحم والدمج بين العناصر في إطار تكوين كلي واحد، كما في شكل (١٦) وهو عمل للفنان إيفان البرت Ivan Alberht بعنوان "ركام" وهو عبارة عن مجموعة من الرؤوس الآدمية تم تشكيلها بطريقة الصب في القالب ثم تجميعها في تكوين رأسي بحيث تبدو أثار الضغط عليها من أعلى حيث التشوه والأنبعاج الذي يحدث للوجوه والذي تم توظيفه رمزياً لتجسيد حالة الإنسان عندما يتعرض لضغوط وتحولات كبيرة في حياته قد تنتهي به إلي تشويه صورته الأصلية أو فقدانها تماماً، فيتحول إلي مجرد ركام متكدس لا قيمة له كما يشير العنوان.

شكل (١٦)
إيفان البرت - أمريكا– العنوان "ركام" الأبعاد ١٥٨×٢٥×٢٥سم – ٢٠٠٧ (١٣ – ١٤١)

كذلك اتجهت العديد من الأعمال التجميعية إلي توظيف دور الحركة الفعلية للأشكال الخزفية والفراغ الناشئ عن تجاورها أو تلامسها في مواضع معينة للإيحاء بمعاني ومضامين رمزية مختلفة تتنوع بحسب رؤية الفنان لأسلوب التنظيم الذي يحقق وحدة العمل. ويتعلق ذلك بالاجراء العملي الذي يتم من خلاله إنشاء العلاقة بين عنصرين أو أكثر، كما يرتبط بشكل وثيق بطبيعة الإدراك البصري، والتأويل العقلي للمرئيات، فوضع عنصر بجوار عنصر آخر هي عملية تتضمن تبديلات لانهائية كل منها يثير إدراكاً للتعبير وللقوى الكامنة في العلاقة بطريقة مختلفة (٢ -١٥٩).

وبناء عليه تعد أساليب تحقيق الارتباط بين الأشكال في العمل الخزفي التجميعي من أهم العوامل التي يمكن توظيفها لخدمة مضمون العمل، ويتضح ذلك في أحد أعمال الفنان جان. فرانسوا فولوكس Jan. Francois Foulishoux شكل (١٧) وهو يتكون من جزئين كل منهما عبارة عن شكل متوازي أضلاع اتخذت إحدى زواياه بضلعيها هيئة حرة، والعمل منفذ بطريقة التشكيل بالشرائح الطينية لذا لعب الفراغ الداخلي والخارجي دوراً أساسياً في التكوين، فالفراغ الداخلي ربط بين جزئي العمل من خلال علاقة التقارب في الحجم والزوايا المحصورة بين الأضلاع وحركة الجزئين في اتجاه واحد، أما الفراغ الخارجي فقد نشأ من حالة الشد والجذب بينهما والتي جسدها الفنان من خلال توترات الأسطح والخطوط الخارجية للشرائح الحرة مما أنتج نوعاً من العلاقات الديناميكية المتشابكة التي أكدت على مضمون العمل، حيث يوحي التكوين بشكل الصراع الذي قد ينشأ بين كيانات متشابهة تجتمع في محتوى ومصير واحد وتقف على أرضية مشتركة، وقد أكد اللون الواحد للعمل نفس المعنى كما ساعد على إدراك العلاقات بين العناصر من خلال حوار الظل والنور.

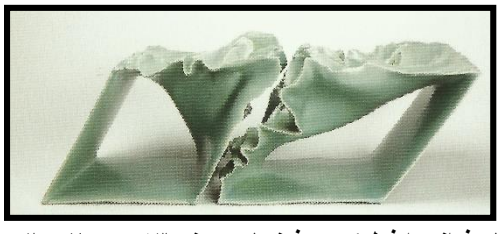

شكل (١٧) جان فرانسوا فولوكس - فرنسا– عرض ٤٣سم – ٢٠٠٧ – (١٣ – ٦٧)

نتائج البحث:

1- اكتسبت الرموزالفنية قيمتها ومعناها على مر التاريخ الإنساني كلغة للاتصال ووسيلة للتفاعل الاجتماعي، وقد ظلت هي البديل عن أجرومية لغة المصطلح فترة طويلة من الزمن.

2- للحركة الرمزية تأثيرها الواضح على فن الخزف، حيث تخلى الخزاف الحديث عن الاهتمام بالشكل على حساب التعبير، وأصبح مبدأ تسجيل الإحساس من أجل تجسيد الفكرة هو أسلوب الفنان للتعبير عن العديد من المعاني والإيحاءات الرمزية.

3- هناك علاقة وثيقة بين الشكل والمضمون في العمل الفني تبدأ من منطق الأحتياج المتبادل وتنتهي إلى تحقيق الهدف وهو وحدة العمل ككل.

4- عندما تتجه بنية الأعمال الفنية إلي الرمزية يقف الرمز دائماً بين نقطتين أساسيتين: الدال وهو (الشكل) والدلالة وهي (المضمون).

5- للعمل الخزفي عناصره ومقوماته الأساسية التي تكون بنيته الإنشائية، وتعتبر المقومات هي المنظومة الأشمل التي يتوقف عليها بناء أي عمل خزفي وتتمثل في: الخامة، التشكيل، التكوين.

6- اتجه العديد من الفنانين المعاصرين إلي توظيف مقومات بناء أعمالهم الخزفية توظيفاً رمزياً لخدمة مضمون العمل، وقد أتضح من خلال رؤية تحليلية لبعض هذه الأعمال ما يلي:

أ- استطاع الخزاف المعاصر توظيف خامة الطين رمزياً بما لها من كيفيات حسية وكيميائية للتعبير عن مضمون العمل من خلال:

- تقنين العديد من التأثيرات الشكلية.
- توجيه مقصود للخصائص الطبيعية للخامة.
- استخدام بعض الخامات المكملة في ضوء خصوصية كل خامة.

ب- حقق الخزاف المعاصر رؤية تشكيلية متميزة لأعماله أعتمد فيها على:

- توظيف طرق التشكيل المختلفة لتجسيد الكثير من المعاني والمضامين الرمزية.
- أتجاه معظم هذه الأعمال إلى البساطة والتلخيص في تناول الفكرة وفي أسلوب تنفيذها.
- الوعي بأبعاد الخامة بعد تشكيلها وعلاقتها بالعمل الفني.

ج- أكد الخزاف المعاصر رؤية جديدة للعمل الخزفي أكد فيها على أهمية الدور الرمزي للتكوين في تحقيق مضمون العمل من خلال:

- إمكانية توظيف عناصره الشكلية ودلالتها في إطار البنية الكلية له.
- تنوع التكوين البنائي للأعمال الخزفية نتيجة لتعدد أساليب عرض المضمون بناء على: أختلاف أسلوب الفنان في توزيع أدوار العناصر داخل التكوين من ناحية، وتأثير اتجاهات الفن الحديث على سمات التكوين الخزفي من ناحية أخرى.

التوصيات:

بناء على ما توصل إليه البحث من نتائج توصي الباحثة بما يلي:

(1) المزيد من الدراسات التي تؤكد على:

أ- أهمية العلاقة بين المدركات الشكلية للعمل الخزفي والتعبير عن مضمونه.

ب- أهمية الرؤية التحليلية لمضامين الأعمال الخزفية المعاصرة من وجهات نظر متعددة نفسية، اجتماعية، بيئية.. التي تتحكم في متغيرات الشكل الخزفي.

(2) اهتمام المحتوى العلمي لمقررات مادة الخزف بالاتجاه الرمزي في التعبير الذي يساعد على:

أ- تحفيز خيال الطلاب نحو تجسيد معاني ورؤى فنية خاصة.

ب- تشجيع الأساليب الذاتية في التعبير لدى الطلاب.

ج- تأهيل الطالب لاختيار الكيفيات المناسبة من خامات وتقنيات وصياغات متميزة للتعبير عن أفكاره.

المراجع:

المراجع العربية:

1- أحمد أبو زيد: الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي – مقال منشور – مجلة عالم الفكر – المجلد ١٦ العدد ٣ – الكويت ١٩٨٥.

Ahmed Abu Zaid: Al ramz w al ostora w al bena2 al egtma3y – Maqal manshor – Magalt 3alm elfekr – mogalad 16 3adad 3 – Kuwait 1985.

2- إيهاب بسمارك: الأسس الجمالية والإنشائية للتصميم – الكاتب المصري – القاهرة ١٩٩٢.

Ehab Bsmark: Al osos al gmalea w al ensha2ia ll tasmem – Al kateb al masry – Alqahera 1992.

3- جيهان فوزي: الدلالات الرمزية للون وأهميتها الوظيفية في التصميمات الزخرفية المعاصرة – رسالة دكتوراة - كلية التربية الفنية – جامعة حلوان ٢٠٠١.

Gehan Fawzy: Al dalalat al ramzia ll lon w ahmito al wazefia fi al tasmemat al zo5rofia al moasra – Resalt doctora – Koliat al tarbia al fania – Gam3at Helwan 2001.

4- حسن محمد حسن: الأسس التاريخية للفن التشكيلي المعاصر – الجزء الثاني – دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٧٩.

Hassan Mohamed Hassan: Al osos al tare5ia ll fan al tashkeli al mo3aser – al goz2 al tany – dar al fekr al arabi – Alqahera 1979.

5- صالح رضا: لغة الشكل – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ٢٠٠٧.

Saleh Reda: Loght al shakl – Al hai2a al masria al 3ama ll ketab – Alqahera 2007.

6- مجاهد عبد المنعم مجاهد: دراسات في علم الجمال – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ١٩٨٠.

Mgahed Abd Al Monem Mgahed: Derasat fi 3elm al gamal – Maktabt al anglo al masria – Alqahera 1980.

7- محسن عطيه: الفن وعالم الرمز – دار المعارف – القاهرة ١٩٩٣.

Mohsen Atia: Al fan w 3alam al ramz – Dar al ma3aref – Alqahera 1993.

8- محسن عطيه: التفسير الدلالي للفن – عالم الكتب – القاهرة ٢٠٠٧.

Mohsen Atia: Al tafser al dalaly ll fan – 3alam al ketab – Alqahera 2007.

9- محمد عزيز نظمي سالم: القيم الجمالية – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٤.

Mohamed Aziz Nazmy Salem: Al qeam al gamalia - Dar al ma3aref – Alqahera 1984.

10-محمود البسيوني: تربية التذوق الجمالي – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٦.

Mahmoud Al Basuony – Tarbiat al tazawq al gamaly - Dar al ma3aref – Alqahera 1986.

11-مصطفى يحيي: القيم التشكيلية قبل وبعد التعبيرية – دار المعارف القاهرة ١٩٩٣.

Mostafa Yehia: Al qeam al tashkelia abl w ba3d al ta3beria - Dar al ma3aref – Alqahera 1993.

المراجع الاجنبية:

12- Edmund De Waal: New Ceramic Design, Guild Publishing, USA, 1997.

13- Emmanuel Cooper: Contemporary Ceramics, Thamees and Husdson, London, 2009.

14- Robert Goldwater: Symbolism, penguin Books, London, 1979.

15- Susan Beterson: The Craft and Art of Clay, Laurence king, London, 1999.

المواقع الالكترونية:

16- www.intoinationdeidesheim.com